يحدث في القاهرة الآن

# محمد هاشم... اليأس «خيانة» مشروعة

**فجأة، أعلن الناشر المصري المعروف قراره الهجرة إلى الخارج على صفحته على الفايسبوك. صاحب «دار ميريت» الذي وُصف بأنّه أحد آباء الثورة، انتابه الإحباط بعدما شاهد أنّ تطلّعات الحركة الاحتجاجية الشعبية تجهضها نخبة تسعى إلى تأليه السيسي، وتختزل المعركة مع قوى الإسلام السياسي...**

القاهرة ـ **سيد محمود**

قبل أيام، كتب الناشر المصري محمد هاشم على الفايسبوك: «سأتقدّم بطلب للهجرة، فضجيج ماكينات رابطة صنّاع الطغاة لا يحتمل، وصريرها المزعج المستهين بالثورة كأعظم قيمة في حياة المصريين وأحلام الشعب بحكم مدني لا ديني ولا عسكري مستمرّ». إعلان مؤسِّس «دار ميريت» التي وصفت مرةً بـ«بيت الثورة»، أثار عاصفة من التساؤلات عن الأسباب التي دفعته إلى اليأس والرغبة في المغادرة بعد سنوات من العمل الشاق لصالح قيم التنوير. هاشم أكّد أيضاً على حسابه أنّ «كابوس المنفى الاختياري سيتحول إلى واقع كونه أشرف ألف مرة من التوقيع باسم الثورة مع صبيان عبد المنعم أبو الفتوح، وأطياف الإرهاب السياسي باسم الدين، كأنّما كتب علينا الابتلاء بنخبة لا ترى ولا تتعلّم وتزيّن الأكاذيب وتعمل وفقاً لبوصلة لا تليق بالثورة وأحلام الفقراء». وتابع: «سيكون أشرف لي أيضاً رفض الانضمام إلى جوقة تأليه الفريق السيسي التي تقودها عصابة تسرق الكلمات والألحان بلا خجل، وتختزل الوطنية بإغلاق الفم، وتختصر الحلم في ما يجود به علينا المستبد العادل المحتمل».

في حديثه معنا، أكّد هاشم الذي أسّس «دار ميريت» عام 1998 أنّه لم يحسم خياره بشأن البلد الذي سيتوجه إليه، مشدداً على أنّه رفض عرضاً تلقاه من صديق مقيم في ألمانيا للحصول على منحة إقامة ضمن «برنامج للكتّاب المضطهدين». إذ رأى أنّ العرض لا يلائمه، فهو ليس كاتباً مضطهداً، فضلاً عن اعتقاده بأنّه لا يزال بإمكانه الصراح في وجه كل الطغاة، سواء الذين يحكمون باسم الاستبداد الديني أو العسكري، كما أنّ هناك مضطهدين في العالم أولى منه بهذا العرض.

صاحب رواية «ملاعب مفتوحة» (2005) عبّر كذلك عن سخطه من نخبة مصرية منقسمة بين محاولات العمل على تأليه وزير الدفاع الفريق عبد الفتاح السيسي واختزال المعركة مع قوى الإسلام السياسي. يقول: «احترامي لدور السيسي في مساندة ثورة الشعب في «30 يونيو» وتصدّيه لإرهاب الإسلام السياسي لا يساوي قبولي ببساطة لحكم ذي طابع عسكري وتنصيبه رئيساً تحت شعار «هو أو الخراب». كأنّ اليأس والعجز قد تمكّنا من هذا الشعب إلى الدرجة التي تدفعه إلى معاودة اختيار عسكري بعد ثورة اشتعلت للتخلّص من 60 عاماً من حكم العسكر... وكأنّها خرجت ضد الزراعيين أو البيطريين مثلاً».

يوضح هاشم أنّ شعوراً بالحزن والألم انتابه لمشاركة عدد من «كبار كتّابنا ومثقّفينا في تصدير الحلّ العسكري للحكم كحل سحري وحيد، فمصر تستحق ما هو أعدل وأحسن»، داعياً ما تبقى من قوى مؤمنة بالثورة الى التوحد حول مرشح مدني واحد كي لا تخوض مصر مواجهة عبثية جديدة بين تحالف «ثوري» ديني ومدني بشارطة غبية، وبين مؤسسة عسكرية تملك ما يساير أحلام الشعب بالحرية والكرامة والعدل.

> **شعور بالحزن انتابه بسبب مشاركة كتاب كبار في تصدير الحل العسكري للحكم**

من ناحية أخرى، رأى الكثير من الكتّاب المتحلقين حول «دار ميريت» وهاشم شخصياً كأيقونة ثورية أنّ ما كتبه نوع من التعبير عن الإحباط مما يجري في مصر، لكنه ليس نهائياً. الكاتب علاء الديب اتصل بهاشم معاتباً، مؤكداً أنّ تخليه عن مكانه ترف لا يمكن تحمّله. فريق آخر من المتابعين رأى أنّ جزءاً من مشكلة هاشم كان مشاركته النشطة في التحضير لمؤتمر المثقفين (الأخبار 2013/10/9)، إذ تعرّض لانتقادات واسعة من كتّاب كانوا خارج برنامج المؤتمر. غير أنّ هاشم أكد لنا أنّه لا يعتبر المؤتمر فاشلاً، كما لا يعتبره جزءاً من صفقة مع الدولة: «لست الشخص الباحث عن منافع. الجميع يعرف الأثمان التي دفعتها شخصياً بسبب مواقفي منذ المشاركة في اعتصامات عام 2004 حتى تأسيس «جماعة أدباء وفنانين من أجل التغيير» التي واجهت استبداد مبارك وسلطته الثقافية»، مشيراً إلى أنّ «الرأي العام الثقافي يعرف انحيازاتي، وهؤلاء ساعدوني حين استهدفني المجلس العسكري خلال الحكم الانتقالي».

وأوضح أنّ الانتقادات التي جاءت ضد المؤتمر كان مصدرها كتاب محبطون، لكنه يرى أنّ المؤتمر نجح في تأكيد سلطة الثقافة المستقلة في مواجهة المؤسسة الرسمية، وهو مكسب ينبغي البناء عليه، بعيداً عن المزايدين. هذه المزايدات هي جزء من حالة القرف التي دفعت هاشم إلى التفكير في الهجرة قائلاً: «سأهاجر لأنّني لا أجد ما يعبّر عن روح الثورة العظيمة وسط مجموعات المصالح المتناحرة تلك».

وماذا عن مصير «ميريت» في حال هجرته؟ يجيب: «سيتولى إدارة «ميريت» أحد أبنائها من الكتّاب، وسأعمل وأتعاون معه وأنا خارج الحدود. ما كنت لأغادرها لولا هذا الكمّ الرهيب من القرف».

رغم كل شيء، لا ينظر هاشم إلى فكرة الهجرة كحل وحيد. يؤكد أنّه يواصل العمل مع شباب مثل نوارة نجم، ومحمد حسن، وفنان الغرافيتي عمار أبو بكر، ويستمر في البحث عن كيان جديد يحمل لواء الثورة، مؤكداً ثقته بمواهب حملت رايات الخيال مثل الشاعرين مايكل عادل ومصطفى ابراهيم وغيرهما من النخب الشابة التي بنت مجدها خارج الجهاز البيروقراطي للدولة.

## دار طليعية

**في أواخر السبعينيات، انضم محمد هاشم الى «حركة اليسار الوطني» في مصر وسُجن عام 1981 في نهاية عصر السادات. في 1998، أسّس «دار ميريت» التي نجحت بعد شهور قليلة في أن تكون واحدة من أبرز دور النشر في مصر والعالم العربي بسبب خطها الطليعي في الدفاع عن الأدب الجديد وحرية التعبير. تأسّست الدار بمشاركة عدد من المثقفين المصريين، على رأسهم الراحل إبراهيم منصور الناشط البارز في جيل الستينيات الذي عرف بحماسته ودعمه المتواصل لمشاريع النشر المستقل. ووصف المستعرب الشهير شتيفان فايدنر هاشم بأنّه أحد آباء الثورة المصرية.**

# خائف على ثورة تواجه التصفية

محمد خير

عادةً، ينهي الناس أوراقهم أولاً، ثم يعلنون الهجرة. محمد هاشم الصاخب، لم يصبر. أعلن هجرته مقدَّماً. «سأتقدم بطلب للهجرة». هكذا قال أو كتب على فايسبوك. صاحب «دار ميريت» لا يصعب عليه توفير إقامة في الخارج. يقول لـ «الأخبار»: «إلى بلد أوروبي ما، إلى ألمانيا غالباً». الألمان كانوا قد منحوه جائزة «هيرمان كيستن» من قبل «نادي القلم الألماني». وقد مُنحت لهاشم في عام الربيع العربي 2011 بوصفه «أحد رواده». آنذاك «توافرت لديّ عروض للإقامة في أكثر من بلد أوروبي»، كما يقول، مضيفاً إنّه قرّر أن يقبل أحدها الآن، والسفر خلال شهرين أو ثلاثة أشهر.

عبر داره المطلّة على ميدان التحرير في قلب القاهرة، لم يلتقط هاشم أنفاسه بعد التكريم الألماني، ولم يحتف بنفسه بعد الجائزة. انتقل من معركة إلى أخرى، هُدّد أثناء حكم المجلس العسكري، بسبب «توزيع الكمامات والخوذ على المتظاهرين»، واستضاف في ما بعد فعاليات المواجهة ضد الإخوان، وقاد اعتصام المثقفين ضد استيلاء الجماعة على وزارة الثقافة. وأخيراً، أعدّ لانطلاق «مؤتمر المثقفين» من أجل «استقلال العمل الثقافي عن التحولات السياسية». بين هذا وذاك، لم تنس «ميريت» دورها الأساسي في إطلاق كتبها وكتّابها، وإن بإيقاع أقلّ. لذا فقد بدا إعلانه المفاجئ بالهجرة، لا يشبه صاحبه إن كان هروباً، بل يشبهه أكثر إن كان احتجاجاً: «لا أجد ما يعبّر عن روح الثورة العظيمة وسط كل مجموعات المصالح المتناحرة تلك»، هكذا كتب على صفحته، معدّداً أنواع غضبه، لكن بين تلك الأنواع، قد يكون الأشد وطأة على صاحبه «انضمام قطاعات من جمهور الكرة «الألتراس» إلى العمل بالأجر لحساب جماعات التكفير»، و«مشاركة عدد من كبار كتّابنا ومثقفينا في تصدير الحل العسكري للحكم كحل سحري وحيد». في النقطة الأخيرة، يشير هاشم ـ من دون أن يصرّح ـ إلى صنع الله إبراهيم، الذي عبّر أكثر من مرة عن تأييده ترشّح وزير الدفاع المصري الفريق عبد الفتاح السيسي، لمنصب الرئاسة. سيُدير الدار أحد أبنائها من الكتّاب، يقول هاشم لكنّ أحداً لا يتصور ذلك، فـ «ميريت» هي صاحبها، كما أنّ صورة المهاجر أو المغترب، أبعد ما تكون عن الناشر الذي يعيش ـ تقريباً ـ في الدار، وسط القراء والكتاب والمتظاهرين وحتى عابري السبيل. لذا فإن النقاش مع هاشم، من روّاد داره وقرائها ومحبيها ـ محبيه، لا يدور الآن حول الإقامة والعمل والاغتراب، بل حول الغضب والسياسة والثورة، وبالطبع، حول ثنائية عسكر ـ إخوان. ربما هي الدائرة المغلقة التي لم يجد هاشم ـ فيما ينظر حوله ـ وسيلة لكسرها، فألقى حجر الهجرة في البركة اليائسة، ضد ركود الواقع والتفاف الأيام حول نفسها. واحتجاجاً على إعادة صعود السلّم من أوله، يُعلن السفر وتُعلن الدار حسماً كبيراً على كتبها في الأسابيع المقبلة، مما يبدو أمراً شبيهاً بالتصفية، فيشبه ـ مرة أخرى ـ حال ثورة تواجه المصير نفسه.

> **حسم كبير على كتب «ميريت» في الأسابيع المقبلة**